الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات ..... قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

المقامة الهزلية للشيخ ناصيف اليازجي دراسة سردية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي تخصص: أدب عربي

إعداد الطلبة:
رميساء رزايقي
منال بوفنغور
حسان بلطوم

إشراف الدكتور:
د. مسعود بن ساري

السنة الجامعية: 2022/2021

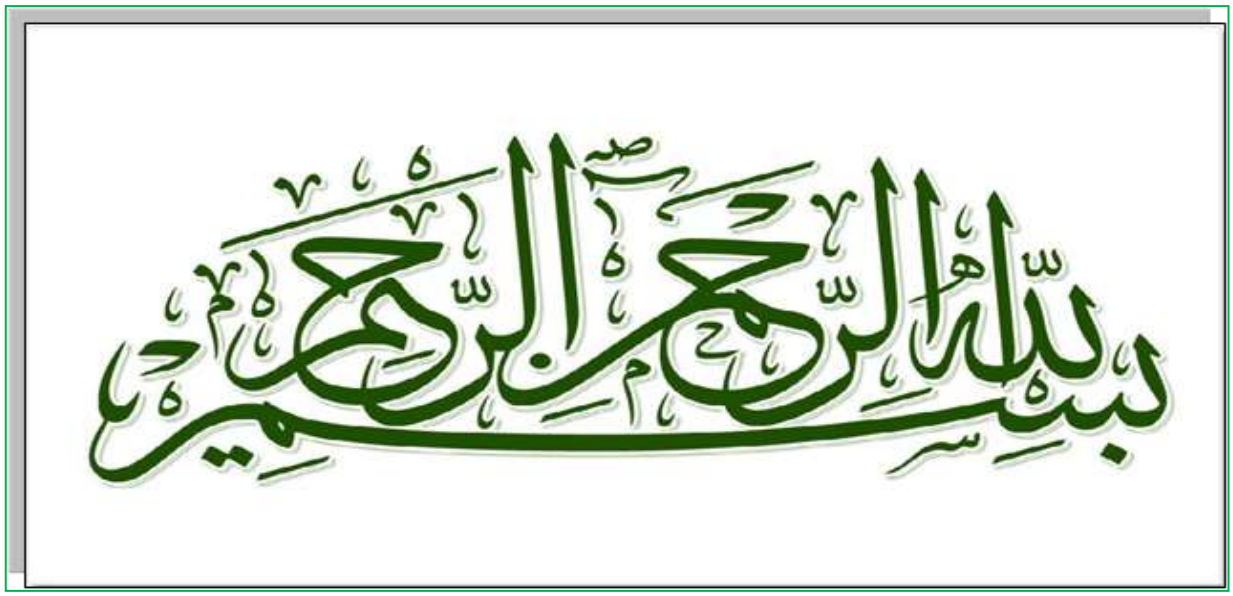
بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــدمة

مقدمة:

ظهر في القرن الرابع الهجري نوع أدبي جديد يدعى "المقامات" جوهرها القصص أو الحكايات، إلا أن مبدعيها تعمدوا التصنيع والتأنق بها، ولا تخلو من جوانب تاريخية وحكمية وأدبية، فالمقامات هي إحدى الفنون النثرية التي يبالغ فيها الاهتمام باللفظ والأناقة اللغوية وحمل الأسلوب؛ ولجملة تلك الأسباب الفنية وقع اختيارنا على هذا الموضوع الموسوم ب: "المقامة الهزلية للشيخ ناصيف اليازجي دراسة سردية".

ومما دعانا لاختيار هذه المقامة دون غيرها هو قناعتنا الذاتية النابعة من إعجابنا بها، بالإضافة إلى أسباب موضوعية تتمثل في الكشف عن مميزات وخبايا المقامة الهزلية. والإشكال الرئيس هو: ما هي الخصائص السردية وجمالياتها الفنية في هذه المقامة؟ وتفرعت بعض إشكالات ثانوية نذكر منها: ما هي المقامة؟ من يكون اليازجي؟ وما نص المقامة الهزلية المختارة؟

ولحل هذه الإشكالات بنينا خطة من فصلين اثنين: الفصل الأول (مفاهيم أولية) ويتشكل من ثلاثة مباحث: 1* مفهوم المقامة. 2* ترجمة المؤلف. 3* المدونة – المقامة الهزلية –. الفصل الثاني: (المقاربة السردية) ويتشكل من ثلاثة مباحث: 1* الشخصيات والأحداث. 2* الزمان والمكان. 3* العقدة والحل.

أما المنهج الذي اخترناه فهو مقاربة سردية، تدرس الزمان والمكان والشخصيات. ولا شك أن هناك صعوبات قد واجهتنا، منها عدم التنسيق في العمل بيننا، والتأخر، وعدم فهم المطلوب بدقة من الدراسة السردية. ولمواجهة هذه الصعوبات تدخل الأستاذ المشرف لمعالجتها، وسد الثغرات والنقائص وإكمالها.

ولا يسعنا في الأخير سوى أن نشكر الأستاذ المشرف مسعود بن ساري على جهوده، ولا ننسى والدينا الذين كانوا لنا دائما الداعم الحقيق معنويا وماديا فجزاهم الله خيرا، والفضل والحمد لله أولا وآخرا.

الفصل الأول

مفاهيم أولية

المبحث الأول: مفهوم التناص

المبحث الثاني: ترجمة المؤلف

المبحث الثالث: المدونة (المقامة الأزهرية)

الفصل الأول: مفاهيم أولية

المبحث الأول: المقامة

مفهوم المقامة لغة:

"نستدل على المعنى المعجمي للمقامة عند ابن منظور في اللسان وتحديدا في مادة (قوم) بحيث يقول والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه، والمقامة بالضم: الإقامة، والمقامة بالفتح: المجلس وجماعة من الناس"[1].

"المقامة من المقام وهو موضع القدمين يقال: هو مقام قدمى رجاح عدوة حتى دلكت براح. والمقام والمقامة: الموضع التي تقيم فيه. والمقامة بالضم: الإقامة. والمقامة بالفتح: المجلس والجماعة من الناس"[2]. أما المقامة اصطلاحا فلاقت صدى كبيرا من طرف الدارسين فمنهم من عرفها أنها لون نثري وقال إنها تتميز بخصائصها الفنية واللغوية المميزة عن باقي النصوص الأدبية.

ومن خلالها يطرح كاتبها ما يشاء من أفكار سواء أدبية أو لغوية أو معرفية أو تعبيرا عن انفعالات وجدانية وهو ما يؤكد لنا أنها عبارة عن مرآة عاكسة لواقعها الاجتماعي والسياسي والأدبي وهي قابلة للدراسة في أي زمن أو مكان وهذا ما ينتج من لتعريف الذي بين أيدينا "نوع أدبي ولون نثري له خصائصه الفنية ودعائمه الأساسية، يتوخى مؤلفها طرح ما يشاء من الأفكار الأدبية أو خواص بديعية وسمات زخرفية، إنها حقا مرآة لعمرها وصدى لذوق أهلها"[3]

وعرف الباحثون المقامات بأنها "مجموعة من القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء"[4]، كما حددوا مجالها بقولهم: إنها "درس درس لغوي في إطار قصصي"[5]، إلا أنها

---

[1]– محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي مادة قوم، دار الصبح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ج11، 2006م، ج12، ص598، ع 01، سط04.

[2]– نفسه، ص324.

[3]– جلال الدين السيوطي، المقامات، شرح وتحقيق سمير الدروبي، الهئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط، 2007م، ص42.

[4]– زكى مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2، دت، ص197.

[5]– إنعام الجندي، الرائد في الأدب العربي، ج1، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص488.

في الحقيقة تتجاوز الاطر والميادين اللغوي لشمل جميع فروع العلم والمعرفة لكونها تعني بـ" جمع درر الألفاظ وغرر البيان وشوارد اللغة ونوار الكلام من منظور ومنثور، فضلا عن ذكر الفرائض البديعية والرقائق الأدبية كالرسائل المبتكرة، والخطب المعبرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية"[1]، فشكلنا بذلك لوحة فسيفسائية هادفة.

ومن هذا المنطلق فإن المقامة هي الفن الأدبي الذي مكن الكتاب من إظهار براعتهم وتميزهم عن بعضهم البعض وذلك لأنها عبارة عن كتابة حسنة التأليف، أنيقة التصنيف تتضمن نكتة أدبية يدور موضوعها حول حكاية لطيفة مختلفة تسند إلى بعض الرواة ووقائع شيء وتعزي أحد الأدباء والجدير بذكرها هنا (أن المقامة تحوي في غالب الأحيان عنصرا يزيد من قيمتها الجمالية ألا وهو المناظرة).

إذ تجاوزنا المعنى اللغوية لكلمة مقامة وتطورها الدلالي بين المجلس، الناس، والحديث في المجلس يعني الاصطلاحي يمكن تعريفها على أنها "قطعة من النثر الفني على صورة حكاية قصيرة، تنتهي في مغزاها إلى عبرة أو عظة أو طرفة يرويها شخص واحد خيالي لا يتغير"[2]

ويعتبر بديع الزمان الحمداني أو من أعطى كلمة مقامة معناه الاصطلاحي "إذ عبر ويعتبر بها عن المقامات المعروفة وهي جميعها تصور أحاديث تلقى في جماعات فكلمة المقامة عنده قريبة المعنى من كلمة حديث وهو عادة يصوغ هذا الحديث في شكل قصص قصيرة يتأنق في ألفاظها وأساليبها"[3]

نشأة المقامة وتطورها:

لقد اختلف الدارسون في نشأة المقامة وتضاربت آرائهم حول المبتكر والمؤسس الأول لها على اعتبار أنها لون جديد "فمنهم من أشار إلى أحاديث أبي بكر محمد بن الحسين بن دريد المتوفى سنة 321هـ وإلى رسائل أبي الحسين أحمد بن فراس المتوفى سنة 390هـ،

---

[1]– أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في البيان وإنشاء لغة العرب، ج1، دار الكتب العلمية، ط35، 1996م، ص309،308.

[2]– عبد العزيز عتيق، فنون الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص477.

[3]– شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي، ص80.

وقيل إن هذه الرسائل وتلك الأحاديث هي النشأة الحقيقية للمقامات ومن الواضح أن هذا الحديث وأمثاله أيضا ليس من فن المقامات وأن الصلة بينه وبين المقامات ضعيفة.

ويجب التنبيه على أن بن دريد لم يلتزم السجع في أحاديثه أما فيما يخص رسائل بن فارس فقد تركت أثرا كبيرا في بديع الزمان الحمداني ولكنها لا تعد أصلا للمقامات وأن البديع قد استلهم من التراث القصصي مثل أقاصيص الشعر والقصص النمطية (النوادر) والقصص الفكاهية وغير ذلك، فابتكر فن المقامات ووضع له الأسس الفنية وأرسى دعائمه الأسلوبية وصاغه في قالب فني قصصي، متنوع الأفكار والمضامين.

فبعض المقامات له مضمون اجتماعي مثل: المقامة الحلوانية والمقامة القردية، وبعضها لها مضمون أدبي نقدي مثل المقامة الجاحظية وبعضها لها مضمون فكري فلسفي مثل المقامة المارستانية وبعضها له مضمون وصفي مثل المقامة الخمرية ولمقاماته فضلا عن الهدف الفني أهداف إنسانية أخرى كالنقد الاجتماعي والسخرية من بعض العادات"[1] يحدثنا كذلك عن نشأة المقامة.

فيقول: "واعلم أن من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر وإمام الأدب البديع الحمداني فعل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه وهي غاية من البلاغة وعلو الرتبة في الضعة ثم تلاه الإمام أبو أحمد الحريري وعمل مقاماته الخمسين المشهورة وجاءت نهاية من الحسن وأقبل عليها الخاص والعام"[2]

وعن سبق بديع الزمان في ابتكار فن المقامات وتأثر الحريري به يقول ابن خلكان: "بديع الزمان هو صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منواله نسج الحريري مقاماته واحتدى حذوه واقتفى أثره واعترف له في خطبته بفضله وأنه الذي أرشده إلى سلوك هذا المنهج"[3]

---

[1]– محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي، ص170،189.

[2]– عبد العزيز عتيق، فن النقد الأدبي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1972م، ص227.

[3]– المرجع نفسه، ص227.

"وقد كان ظهور مقامات البديع حدثا أدبيا كبيرا دون صداه في مختلف البئات الإسلامية وظل يتردد في شتى أنحاء المعمورة على مر العصور وقد تبعه في كتابة المقامات جماعة من الكتاب منهم من طبقت شهرة مقاماته الآفاق كأبو محمد القاسم الحريري الذي سار على نهج البديع من حيث الموضوعات والمضامين ومن حيث الأهداف والمقاصد ومن حيث البناء الفني والأسلوب.

ومنهم من لم ترزق مقاماته حظا من الشيوع والانتشار مثل أبو نصر السعدي ابن ناقيا، الزمخشري، السرقسطي"[1]. وعليه فالمقامات فن من فنون الأدب العربي ترك بصمته على مر الزمان عن العام والخاص، ابتكره بديع الزمان ثم حذا حذوه الحريري وغيره.

أركان المقامة:

تعتمد أية مقامة عربية على بعض الأركان والدعائم التي تميزها عن باقي ألوان النثر العربي الأخرى وهي:

الراوي: "وهو عند الحمداني عيسى بن هشام وعند الحريري الحارث بن همام ويقوم الراوي برواية أحداث المقامة وسيق ذلك لفظ حثنا والواضح أن الروي هو نفسه المؤلف إذ أنه وضع آراءه عن المجتمع والبيئة على لسان الراوي لزيادة التشويق والإثارة"[2]

البطل: "هو أبو الفتح الإسكندري عند الحمداني وأبو زيد السروجي عن الحريري ووضع كاتب المقامة على أساس كنيته ونسبه إلى مدينته، من دون ذكر اسمه وهذا البطل يقوم بكل الأعمال التي تتطلب الحيلة.. من أجل الحصول على ما يريده وهو على ذلك يقف على طرفي نقيض من الراوي"[3]

الحديث (الموضوع): "بكل مقامة حدث يشد إليها قراءة المقامة والمستمعين ولعل الكذبة هي الغرض المهم في المقامات فنرى البطل يحث خطاه حيث يجد الفريسة العيد

---

[1]– محمد يونس عبد العال، في النثر العربي، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1994، ص244.

[2]– عباس هاني الجراح، المقامات العربية، الرضوان للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2014م، ص15.

[3]– المرجع نفسه، ص15.

السهل، الذي ينخدع بألفاظه وأسلوبه المنمقين فيقع في الشرك المنصوب له"[1]، إذ تعتبر المقامة مسرحا وغطاء لتطبيق أغراض مختلفة أرادها الحمداني والحريري لرسم حيتيات لواقع المعاش في العصر العباسي آنذاك.

خصائص المقامة:

تمتاز المقامة العربية من الميزات والخصائص منها: تبتدئ المقامة عادة بعبارات (حدثنا، حكى، روى). إن ألفاظ المقامات وتعابيرها كانت تمثل اللغة العربية[2]. البطل رجل مهم جدا في المقامات وهو الذي تقع عليه معظم الأحداث. البطل من أهل المعرفة بالآداب لذلك نراه في كثير من الأحيان يعجب الناس بفصاحة لسانه وأدبه وأساليبه وأشعاره ونثره.

يستحب في راوي المقامة أن يكون ظريف النفس كثير الأسفار حسن الرواية متفرغا لفنون الأدب جادا في الطلب. المقامة المسجوعة العبارات فالسجع جزء من طبائعها فهو من المحسنات اللفظية، التي تحسن الألفاظ المستعملة في المقامة. اشتمالها على الحكم والأمثال والشعر. "اختيار الغريب من الألفاظ"[3]

أهم أعلام المقامة:

بديع الزمان الحمداني: "هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل، والشاعر المبدع، منشؤه نشأ ودرس العربية والأدب ونبغ في الأرض بتكسب بأدبه ثم أقام بنسابور مدة أملى بها أربعمائة مقامة يلفظ رشيق وسجع رقيق، وعلى منوالها نسج الحريري، ثم شحر بينه وبين الخوازمي ما كان سببا في هبوب ريحه، وبعدها صيته إذ لم يكن في الحسبان أن أحد يجتري على الخوازمي"[4].

أبو القاسم الحريري: "هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عثمان الحريري البصري المولود سنة 446هـ الكاتب الشاعر اللغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته

---

[1]– عباس هاني الجراح، المقامات العربية، ص16.

[2]– عز الدين المناصرة، الأجناس الأدبية، ص241.

[3]– عثمان الشيخ عبد المؤمن، البديعيات في مقامات عائض النبي السعودي دراسة تحليلية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة بيروت وإيليون، السنة الجامعية 2011–2012م، ص57–79.

[4]– عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1980م، ص183، 170، 169.

المشهورة التي نسجها على منوال مقامات بديع الزمان الحمداني وأنشأ خمسين مقامة أتى فيها على الكثير من مواد اللغة وفنون الأدب وأمثال العرب وحكمها بعبارة مسجوعة مزينة بأنواع البديع ولاسيما الجناس ترغيبا للطلاب في حف اللغة وآدابها"[1]

جلال الدين السيوطي: "هو عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد ابن سايق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين ولد سنة 849هـ/ 1445م إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ستمائة مصنف، منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة والإتقان في علوم القرآن ومقامات وغير ذلك، وكان يلقب بابن الكتب، وكانت وفاته سنة 911هـ/ 1505م"[2]

أبو حفص عمر بن الشهيد: "كان فارس النظم والنثر وأعجوبة القرن والعصر ونهاية الخبر رقم يرود الكلام ونظم عقود النثر والنظم وهو إن لم يزر الملك ولم تدر عليه وحي ملك فليس بمتأخر عن طبقات المحسنين ولا بسكيت حلبات الكتاب المحيدين"[3]

تحكي المقامة أحداثا وقعت في زمن مضى، وسمة الحكي تجعل من المقامة تدخل في دائرة الفنون السردية لاحتوائها على أهم العناصر الحكائية، فغالبا ما يعد الوصف ممهدا للتجلي الذي سيتخذه بطل المقامات فيمكن تتبع ظهور البطل فـ"المقامة تسرد في العادة حكاية أدبية أو مغامرة أساسها التكدية وجمع المال"[4]، وتتحقق الحكائية في الكلام من خلال تحقق العناصر التالية: "فعل أو حدث قابل للحكي وفاعل أو عامل يضطلع بدور ما في العقل، وزمان والمكان ومكانه"[5] "فاشتمل بنية المقامة لهذه العناصر تجعلها تخضع لمقومات السردية ما يبرر الطابع الحكائي الذي يحكم بمظهرها كمنظومة متسقة البنيات أو كما عبر عنها "جوزيف كورتيس شبكة عقلانية"[6]

---

[1]– عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص174،175.

[2]– ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص301،302.

[3]– يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والغرب، ص281.

[4]– عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، ص393.

[5]– أنظر: البنيات الحكائية في السيرة الشعبية سعيد يقطين، قال الراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997م، ص19.

[6]– جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال الحضري، الدار البيضاء للعلم ناشرون، منشورات2007، 1، ص21.

تتعالق فيها البنى الخطابية والدلالية وهي عبارة عن "متتالية من الأحداث يكون فيها الممثلون كائنات حية، فاعلة أو مفعولة"[1]، فالمقامة إذا نظام يتكون من شخصيات وأزمنة وأمكنة يرجع "غريماص" مهمة القيام بالحدث إلى الممثلين أو الشخصيات باعتبارها المحور الذي يحرك السرد، وتبنى عليه الدلالة، هذا إلى جانب المكان والزمان، غير أن الفضاء الزمني والمكاني دون حدث لا يؤدي الدور أو الوظيفة الرئيسية في منظومة السرد التي تحتل فيها الشخصية الموقع الحساس لتسير بالأحداث نحو الإنتاجية لتتجاوز حدود النص إلى فضاء التأويل.

وفي مجمع البحرين يلعب ميمون دور الشخصية الرئيسية في جميع المقامات، يساعده على كل من ابنته وغلامه في تأدية دور البطولة، أما الراوي فيقون بنقل الأخبار والأحداث والوصف والتقديم والتحليل النفسي، إضافة إلى بعض الشخصيات الأخرى التي يفرض الدور البطولي وجودها: مثل شخصية القاضي والوالي والشيخ.. تدور الأحداث في أماكن متعددة وبلدان مختلفة مثل: بغداد وسوريا ومصر وفلسطين، أو الطريق والمسجد والسوق ويختلف هدف البطل والراوي على الرغم من تواجدهما في مكان واحد.

فالأول يهدف إلى التحصيل المادي في الظاهر والثاني يسعى إلى التحصيل المعرفي، تمثل الشخصيات والزمان والمكان البنى السردية الأساسية التي تقوم عليها نصوص المقامات، وتمثل كل بنية علامة تحمل دلالات من شأنها أن تحيل القارئ إلى الانفتاح على أكثر من قراءة الضوء تعدد المناهج الحديثة.

"فقد غدت نصوص المقامات نصوصا مخاتلة، يطرح عليها المتلقي أسئلة عميقة، وهي بدورها أصبحت مليئة بالعبارات ذات الحمولات الدلالية المتنوعة والدلالية"، ولدراسة هذه العناصر السردية وعلى استكناه دلالية النص، في محاولة للكشف عن خصوصية كل عنصر، منطلقين من كون المقامة نظاما دلاليا يحيل إلى دلالات اجتماعية وفكرية، ورصد العلاقة التي تربط مقامات "اليازجي" بعصره.

---

[1]– فن المعنى غريماس، نقلا على جوزيف كورتيس، ص161.

إن التعرض إلى الكتابة الأدبية والعصر وطبيعة تلك العلاقة الوطيدة التي تجمع بين عملية الإبداع وبين ظروف إنتاجية النص الأدبي والكشف عن قوى خارجية تساهم في بنائه وفي حيكه وذلك في ظل التحول الاجتماعي الذي يعرض على الكاتب أحيانا استعارة الشكل الأدبي القديم للتعبير عن أفكاره ونقل تصوره للعلم الذي يعيش فيه كما يفرض عليه بالضرورة الرجوع إلى الأنساق القديمة ومحاكاتها من أجل خلق نصوص تحمل بصمة التجديد من خلال الموضوعات التي يطرقها الكاتب.

وهذا ما حذا باليازجي إلى إحياء بوصفه طريقة فنية أوجدها ظروف عصر النهضة للتعبير عن همومه ومعالجة قضايا منه المتعددة التي استطاع اليازجي أن يخلصها في القومية العربية، تتجلى ملامح الواقع لأي زمن أو عصر في الكتابة الأدبية من خلال ما يقوم عليه النص الأدبي من أنظمة سردية تظهر بوصفها علامات ورموزا تساهم في الكشف عن الأنظمة الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تسبق عملية إنتاج النص الأدبي.

وإذا كان فن المقامة جنس أدبي ظهر في زمن عرف تغيرات على جميع المستويات فقد استطاع هذا الفن في العصور، هذه المكونات لخدمة رؤية المؤلف موقفه على مدى الزمان الغير منتظم والذي لا يوجد فيه ترتيب للأحداث أو فيه انعدام في الانسجام بين كلمته وجمله ومعانيه، وفي السرد تتلاشى الحاجة لشرح أفكار أو لتلخيص المراد أو إعطاء مواعظ.

وذلك لأن السرد يظهر كل ما هو مراد وإن حصل ذلك فهو زيادة وحشو لا فائدة منه بل قد يسبب ضعفا لهذا الأسلوب وله تأثير سلبي على بنية النص وتركيبته وللسرد صيغ متنوعة فيمكن أن يروى شفهيا أو كتابة أو أن يكون عن طريق الصور والإيماءات ويكون أيضا بصيغ أخرى، "ومن أشكال السرد (السرد المفصل)

ويكون ذلك بوضع كل التفاصيل في السرد دون اختصار وهناك (السرد المجمل) وفيه اقتضاب للأحداث ويكون التركيز فيه على الأحداث الأساسية والتي تكون هادفة"[1]، "أما عن طريق السرد فهي: السرد الذاتي، السرد المباشر، سرد الوثائق (المذكرات والاعترافات)"[1].

---

[1]– أنظر، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، قال الراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، ص98.

المبحث الثاني: ترجمة المؤلف

مولده ونشأته:

ولد الشيخ ناصيف اليازجي قرية "كفر شيما" من قرى ساحل بيروت في 25 آذار (مارس) سنة 1800 وتلقى مبادئ القراءة على راهب من "بيت شباب" يدعى الفنس متى: وكان والد الشيخ من مشاهير أطباء عصره على مذهب ابن سينا، إلى جانب ذلك كان يحب الأدب ويميل إليه، فبث ذلك في روع ولده ناصيف فنشأ على محبة العلم وشرع يطالع ما تصل إليه يده من كتب النحو واللغة ودووين الشعراء فأدب نفسه بنفسه وتخرج على فنون الأدب العربي: أستاذه الكتاب وصفحة شعره الوجود.

تعلمه:

وكانت علومه التي أخذ بدراستها: الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض والقوافي والمنطق والطب والموسيقى مع ما أحصاه في صدره من اللغة حتى كان أنه القاموس[2]. تألق نجم الشيخ ناصيف وهو بعد في السادسة عشرة من عمره بما كان ينظمه وعنى بالخط عناية خاصة فجوده وبرع به فاتصل خيره بالمطوي الذكر البطريرك أغناطيوس للروم الملكيين الكاثوليك، فدعاه ليكتب له في دير "القرقفة" الواقع على هضبة من هضبات كفرشيما، فبقي عنده مدة سنتين وبعد انتقال البطريرك إلى "الزوف" من أعمال كسروان ترك ناصيف مهمته ورجع إلى قريته يواصل الدرس والمطالعة وقرض الشعر[3]

وترامت شهرته إلى الأمير بشير الشهابي الكبير فقربه إليه وجعله كاتب يده ومع أنه لبث في خدمته نحوا من اثني عشرة سنة أي إلى سنة 1840 وهي السنة التي خرج فيها الأمير بشير من البلاد الشامية لم يكن لديه إلا مدائح قليلة وربما كان ذلك احتراما لشاعر الأمير الخاص كرامة فلم يشأ أن يزاحمه.

وفي سنة 1840 غادر الأمير بشير لبنان ووقعت الحرب الأولى سنة 1841 بين الدروز والنصارى فكان الشيخ ناصيف من المهاجرين إلى مدينة بيروت[4]. فبعد أن كان رزقه

---

[1]– المرجع السابق.

[2]– عيسى ميخائيل سابا، الشيخ ناصيف اليازجي، دار المعارف، بيروت، 1800–1870، ص10.

[3]– نفسه، ص11.

[4]– نفسه، ص11.

مقصورا على خدمة الأمير ككاتب له، أخذ يحترف التعليم في مدارس الأمريكان ويصحح الكتب في مطبعتهم، وفي بيروت انقطع إلى المطالعة والتعليم، فكانت بيته مباءة للعلماء، ومرجع الفتاوى الأدبية قاطبة وراسله أكابر الشعراء[1]

قيل: إنه كان يحفظ القرآن الكريم آية بعد آية، وشعر المتنبي بيتا بعد بيت لا يخبل بحرف، ولم يسمع بيتا من الشعر إلى عرف قائله وربما ذكر السبب الذي قيل من أجله ووعى في صدره أيام العرب وأشعارها ونوادر أخبارها[2]

ويبدو لنا من مطالعة آثاره أنه كان متصنعا في علم العربية، مثلما ببعض فنون عصره كالطب والموسيقى وقد حافظ على ذلك العلم كما اتصل به يجمعه جمع عارف خبير عالم، يؤلفه أو يختصره بأسلوب عرف وحده، وهاك أسماء مؤلفاته:

مؤلفاته:

أ/ في الصرف والنحو:

1* لمحة الطرف في أصول الصرف: أرجوزة في سبع عشرة صفحة مشروحة بقلمه ألفها سنة 1854 مقتصرا فيها على ما تهم معرفته من هذا العلم، طبعت في المطبعة المخلصية للروم الكاثوليك بيروت سنة 1870.

2* الجمانة في شرح الخزانة: أرجوزة طويلة في علم الصرف علق عليها شرحا مسماه الجمانة جمع فيها مبادئ هذا الفن معتمدا في شروحه على كتب الأيمة مقتصرا على ما يحتمل وقوعه في الاستعمال دون الشعائر والمفروضات، طبعت في المطبعة المخلصية أولا ثم في المطبعة الأمريكية سنة 1872 في مئة وأربعين صفحة، ولها طبعة ثالثة تم طبعها مختصرة بقلم ابن المؤلف الشيخ إبراهيم اليازجي سنة 1889.

3* طوق الحمامة: وهو مختصر نثري يقع في عشرين صفحة صغيرة طبع في المطبعة المخلصية سنة 1865.[3]

---

[1]– عيسى ميخائيل سابا، الشيخ ناصيف اليازجي، ص11.

[2]– نفسه، ص16.

[3]– نفسه، ص19.

4* اللامعة في شرح الجامعة: أجوزة في علمي العروض والقوافي تقع في 128 صفحة صغيرة الحجم أنهاها سنة 1853 وشرحها ولده الشيخ حبيب وسمى الشرح اللامعة، طبعت في بيروت سنة 1869.

5* الطراز المعلم: أرجوزة مقتصرة في البيان تقع في 35 صفحة جمع فيها نظما وشرحا المبادئ المهمة في البين وفرغ من تبييضها سمة 1861 طبعت في المطبعة المخلصية سنة 1868.

ج/ في المنطق:

6* قطب الصناعة في أصول المنطق: رسالة نثرية تقع في سبع وثلاثين صفحة صغيرة الحجم، اقتصر فيها على المبادئ المهمة في أنواع القضايا وضروب القياس، فرغ منها سنة 1857 طبع أربع مرات في بيروت في المطبعة الأمريكية الطبعة الأولى سنة 1858 والطبعة الأخيرة سنة 1913.

7* التذكرة في أصول المنطق: أرجوزة صغيرة جعل في صلبها أركان المنطق ألحقت برسالة "قطب الصناعة" فألفت خمسين صفحة من الحجم الصغير.

د/ في الطب:

الحجر الكريم في الطب القديم: أرجوزة تتألف من 84 بيتا من الرجن نشرت في مجلة "الطبيب" ليوست والبارودي في العدد الرابع نشر سنة 1902 وص151، ولد أيضا المقامة الطبية في مجمع البحرين وهي المقامة الثلاثون[1]

هـ/ الأدب:

8* مجمع البحرين: كتاب مقامات نسج فيها على منوال مقامات بديع الزمان العمراني والحريري[2].

---

[1]– المرجع السابق، ص21.

[2]– نفسه، ص23.

وقد ظل ناصيف يناضل لأجل رفع راية العلم والمعرفة إلى أن أصابه مرض الفالج الذي تسبب في شلل نصفه الأيسر، وقد أدى ذلك إلى وفته يوم 16 مارس 1871.

9* اللباب في أصول الإعراب: أرجوزة تقع في 28 صفحة حوت مبادئ النحو مع الشرح طبعت سنة 1889[1].

10* نار القرى في شرح جوف الفرا: أرجوزة مستفيضة الأبحاث النحوية، ضم إليها ما تفرق في كتب أيّمة النحو، خدم بها المتأدبين الآخذين بعلم العربية خدمة تذكر فتشكر ولاسيما بالشرح الذي سماه "نار القرى" فقد جمع فيه دقائق النحو وأصول قواعده، فهو أول كتاب عصري صنف في موضوعه، فرغ المؤلف من تبييضه سنة 1861 وطبع في بيروت سنة 1861 وطبع في بيروت سنة 1882 في 389 متوسط الحجم ثم اختصره ولده الشيخ إبراهيم سنة 1882 في 296 صفحة وأعرب شواهده المعلم شاهين عطية في كتاب سماه "الدرر في عقود الجوهر".

11* الجوهر الفرد: موجز وضعه للطلبة الأصاغر في 15 صفحة الحجم، طبع في المطبعة المخلصية سنة 1865، ثم شرحه ابنه الشيخ إبراهيم وطبعه في بيروت سنة 1888 بعنوان "مصطلح السعد في شرح الجوهر الفرد" وقد اختصرت فيه القواعد العربية في الصرف والنحو اختصارا لا يكن أن يختصر بأكثر من ذلك.

في البيان والبلاغة والعروض:

12* عقد الجمان: جمع خلاصة المعاني والبيان بين متن وشرح وألحق به بحثا هو نقطة الدائرة في العروض والقافية، أنهاه سنة 1848 وله طبعات متعددة في المطبعة الأمريكية ببيروت باسم "عقد الحياة" وطورا باسم "مجموع الأدب في فنون العرب" طبع سن 1908 ويتراوح عدد صفحاته بين 214 و216 صفحة وآخر طبعة له كانت في المطبعة الأمريكية

[1]– عيسى ميخائيل سابا، الشيخ ناصيف اليازجي، ص19.

سنة 1932 وهي الطبعة التاسعة رتبها على نمط جديد مدمجا المنن في الشرح: لبيب جريديني[1].

13* مجمع البحرين: مجمع البحرين دائرة معارف لغوية، جمعت ضروب النظر والنثر والأمثال فهو لا يريب مرجع موثق لطلاب اللغة وعلمائها، ومنها عذب للأدباء الذين يرغبون في الاطلاع على الأساليب الصحيحة، وأفانين التراكيب والألفاظ الوضعية والأساليب البيانية مما لا يجدونها مجموعة في كتاب واحد كما في مجمع البحرين[2]

جمع مجمع البحرين ستون مقامة مازجا بين الشعر والنثر لإظهار مقدرته على محاكاة القدامى، خاصة وأن اللغة وصلت في عهده إلى الركاكة والانحطاط لذلك قام بتنويع مضامينها: حيث جمعت بين فنون شتى منوعة بين "الفوائد والقواعد والغرائب والشوارد والأمثال والحكم والقصص التي يجري بها القلم ويسعى لها القدم إلى غير ذلك من نوادر التركيب ومحاسن الأساليب والأسماء التي يعثر عليها إلا بعد جهد التنقير والتنقيب"[3]

بغرض الإفادة علما أن الراوي الذي اعتمده "سهيل بن عياد" والبطل سميون بن قزام كما يظهر تأثره البالغ بالشعراء القدامى، حيث "قلد المتنبي بنوع خاص فأكثر من نظم المديح والرثاء وملأهما حكمة واعتبارا وقريحة الشيخ خواة تأتي بالشعر السهل في هدوء، وإذا شعره أشبه بشعر أبي العتاهية أنيسا وطبيعة ومرونة"[4]

وقد ساعده ذلك على تنويع المضامين وتوحيد المعالم الفكرية لذلك اعتبرها الكثير من الباحثين محطة هامة جمعت بين "معارف لغوية وتعبيرية كبيرة وليس هناك من ينكر أن هذه المقامات كانت معلما بارزا ومهما في حركة التنشيط اللغوي والأدبي في منتصف القرن التاسع عشر"[5]

---

[1]– المرجع السابق، ص20و 21.

[2]– ناصيف اليازجي، مجمع البحرين، تقديم محمد الطاهر مدور، ص01، الأنيس السلسلة الأدبية تحت إشراف محمد بلقايد، 1989م.

[3]– ناصيف اليازجي، مجمع البحرين، دار بيروت، ص08.

[4]– حنا فاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه أدب النهضة الحديثة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج4، ص85.

[5]– يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1986، ص302و 303.

لشحذ الهمم وحث القرائح على تجاوز تلك الحقبة المظلمة من خلال محاذاة المنهج الكلاسيكي.

وفاته:

توفي ببيروت، سنة 1871م.

المبحث الثالث: المدونة (المقامة الرابعة عشرة وتعرف بالهزلية)

حكى سهيل بن عباد قال: كان لي زوجة صناع اليدين، كريمة النبعتين. فحسدتني عليها المنون، وخانني فيها الدهر الخؤون. فلبثت بعدها طويلاً، أردد زفرة وعويلاً، وأنوح بكرة وأصيلاً. حتى حال عليها الحول. وآلت الفريضة إلى العول. فناجتني الحوباء، أن أستبدل ما طاب لي من النساء. ولما لم أجد في الحي، من تروق بعيني. أزمعت الاغتراب، وبكرت بكور الغراب.

فهملجت سحابة النهار، على هملعة عبر أسفار. حتى إذا جنح الظلام رفرف، نزلت بقاع صفصف، في خلال نفنف. فبينما ألقيت وسادي، وتلقيت مائي وزادي. سمعت غطيطاً كأطيط البعير، وزفرات تتصاعد كالزفير. فجنحت عن القمر، إلى السمر وأخذت لنفسي الجذر. ولبثت أتنكب الغمض، وأقلب طرفي بين السماء والأرض. وإذا جارية قد تنهدت، ثم أنشدت:

هل من سبيل لي إلى العتاق ... من رق ظلم أو إلى الإباق
ما زلت من ذلك في وثاق ... تكاد روحي تبلغ التراقي
أطوي على الطوى من الإملاق ... حتى إذا امتدت دجى الأغساق
أضوى إلى شيخ جو خفاق ... واهي القوى منهتك الصفاق
ذي لحية أثيثة الأعراق ... تضربها الرياح في الأفاق
تلبدت طاقاً وراء طاق ... كأن فيها مربض النياق
منها دنار الليل حتى الساق ... وظلة النهار كالرواق
يجري عليها رمض الآماق ... ووضر المخاط والبصاق
حتى ترد المشط بالإزلاق ... فهل كريم النفس والأخلاق
يحتال لي بفرجة الطلاق ... وهبته ما لي من الصداق
وزدته ثوبي إلى النطاق

قال سهيل: فافتتنت بفصاحتها، ولم ألتفت إلى قيد ملاحتها. وقلت: لا جرم أنه قد خازمني التوفيق، من معاجيل الطريق. فأنشدت:

الحمد لله وبالله الثقة ... قد صادق الكحل سواد الحدقة

واهاً لهذي الطرفة المتفقة ... إن لم نقل وافق شن طبقة
فإننا أحمق من هبنقة

قال: وإذا بالشيخ قد استوى، وقال: ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى. ثم أنشد يقول:

قد علم الله الذي له البقا ... لو ترك الدهر لكفي رمقاً
لم تبق إلا ريث أن تطلقا ... ولم تجد عندي فؤاداً شيقاً
ولا ذكرت جيدها المطوقا ... ولا جبينها النقي اليققا
ولا سواد عينها ذات الرقى ... ولا محياها الجميل الطلقا
ولا حديثها وذاك المنطقا ... لكن لها علي مهر سبقا
ومهر أخرى بعدها قد لحقا ... فإنما الإنسان زوجاً خلقاً
فإن أر المهرين عندي غسقا ... طلقتها والصبح لم ينبثقا
لا عيش للزوجين لم يتفقا ... ومن تراه معرضاً قد وثقا
بالهجر فاهجره إلى يوم اللقا

قال: فاستفزتني أبيات الشيخ فرحاً، حتى كدت أصفق مرحاً. ولم أتمالك أن دلفت إليه دلفة من تيمن، وقلت: حيا الله الشيخ فمن أنت وممن؟ قال: أنا المبارك بن ريحان، من بطون قحطان. وإني لأرى الفتاة قد شغفتك حباً، وخلبت منك لباً. فإن كنت تملك النقدين، فابذل اللجين، واغتنم قرة العين. قال: فهل على الوجد بذل الجدة، ونفحته بما معي حتى أفعم ردنه ويده. فأشهد عليه الله والملائكة المقربين.

وقال لي: بالرفاء والبنين! فلما طرحت النقد، واستبحت العقد، أردت أن أتحول بأهلي، إلى رحلي. فقال: حاشا لك أن تتركني الليلة سمير الفرقدين، ولكن غداً تذهب أنت بالعروس وأنا بخفي حنين. فبت عنده بليلة الملسوع، وعيني لا يأخذها الهجوع، حتى آذن الصبح بالطلوع. فتبينت وإذا الفتاة ليلى الخزامية والشيخ أبوها ميمون، فقلت أنا لله وأنا إليه راجعون. ما أرى بعل هذه الصبية، إلا كعكاش بعل طمية. فاستغرب الشيخ في الضحك، ثم أنشد غير مرتبك:

سلاماً يا ابن عباد سلاماً ... أكهلاً قمت فينا أم غلاماً؟
أريتك إن ملكت طلاق ليلى ... فهل عقد ملكت به الزماما؟

عروس ليس تخلو من خداع، ... وقد لا تعدم الحسناء ذاما
فطلقها، كما طلقت، واعلم ... لقد جعلت على كل حراماً
عرفت وقائعي في كل أرضٍ ... ولكن لست تعرفها تماماً
ولست ترى سقاماً في مريضٍ ... فتعرفه كمن ذاق السقاما
رزأتك يا أعز الناس عندي ... لشدة فاقة برث العظاما
ورب كريمة أكلت بنيها ... إذا جاءت، ولم تجد الطعاماً!

قال: فقلت له شهد الله أنك لأمكر أهل الخافقين، وأقدرهم على الزين والشين. قال: يا بني إن الخلة، تدعو إلى السلة. والصدق خمر مزاجها الكذب، والجد ثوب طرازه اللعب. ورب طرفة، خير من تحفة. فإن كنت قد ظمئت إلى الضحل، ونسيت أن لا بد دون الشهد من إبر النحل. فهب المال عندي كإحدى القرض، ريثما أرزأ من أستنض لك منه العوض.

قلت: قد علم من عنده علم الغيب أن هذه الطرفة عندي خير نخل هجر وعرائض الحصيب. فاعتنقني كمن تملق، وقال: كلانا أفلس من ابن المذلق، فمن أحرز المال فعليه الإنفاق يعلق. قلت: أنا والمال في يديك، وكلانا لك وإليك. قال: حياك الله فسنستبدل الجمر بالتمر، ولكن اليوم خمر، وغداً أمر. فقضيناه يوماً صفا زلاله، وغاب عذاله. إلى أن آذنت الشمس بالأفول، وهم النجم بالقفول.

فجلسنا على الطعام معاً ثم أخذ كل منا مضجعاً. وطفق الشيخ يطرفنا من القصص، بما يسيغ الغصص. وما زال كذلك مذ أطبقت الجونة على الصمير، حتى أقبل فحمة بن جمير. فران على جفني الكرى، حتى سقطت على الثرى محلول العرى، لا أسمع ولا أرى. فلم أنتبه إلا وقد ذر قرن الغزالة الضاحي ولا رجل ولا امرأة في تلك الضواحي. فاستعذت بالله من مكره ونكره، وثرت إلى الناقة لأرتحل في إثره. فلما دنوت من قتبها، إذا رقعة قد كتب بها:

قل لسهيل إذ يهب في السحر: ... اعذر فخير الناس عندي من عذر!
خلقت مطبوعاً على كيد البشر ... وليس للإنسان تغيير الفطر
ولا يعاند القضاء والقدر ... إلا الذي عصى الإله أو كفر
وإن تجد سيئة فيما ندر ... فكم وكم حسنة فيما عبر!

وإن يكن غرك منها ما ظهر ... فتلك لا علم لها ولا خبر
إلا الذي علمتها فيما استتر ... فإن ترد صاحب هذه الغرر
فخذ أباها! إنه أم العبر ... والمهر من أمس إليه قد حضر
جرياً على المفروض من حظ الذكر

فلما قرأت تلك الرقعة، عجبت من تلك الرقاعة، وعلمت أنه لا يحول عن هذه الصنعة ولا يترك هذه الصناعة. فشكرت نعمته إذ لم يأخذ الناقة، ورجعت أدراجي لما اعترض دون سفري من الفاقة.

الفصل الثاني

المقاربة السردية

المبحث الأول: الشخصيات والأحداث

المبحث الثاني: الزمان والمكان

المبحث الثالث: العقدة والحل

الفصل الثاني: المقاربة السردية

المبحث الأول: الشخصيات والأحداث

مفهوم السرد

لشرح أفكار أو لتلخيص المراد أو إعطاء مواعظ، وذلك لأن السرد يظهر كل ما هو مراد وإن حصل ذلك فهو زيادة وحشو لا فائدة منه بل قد يسبب ضعفا لهذا الأسلوب وله تأثير سلبي على بنية النص وتركيبته وللسرد صيغ متنوعة فيمكن أن يروى شفهيا أو كتابية أو أن يكون عن طريق الصور والإيماءات ويكون أيضا بصيغ أخرى.

"ومن أشكال السرد (السرد المفصل) ويكون ذلك بوضع كل التفاصيل في السرد دون اختصار، وهنا (السرد المجمل) وفيه اقتضاب للأحداث ويكون التركيز فيه على الأحداث الأساسية والتي تكون هادفة"[1]، "أما عن طريق السرد فهي: السرد الذاتي، السرد المباشر، سرد الوثائق (المذكرات والاعترافات)"[2]

---

[1]– ينظر: سعيد يقطين، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، قال الراوي، ص98.

[2]– نفس المصدر.

المبحث الأول: الشخصيات والأحداث

يقوم الإطار الفني للمقامة علي شخصيتين مختلفتين هما: شخصية الراوي وشخصية البطل فالراوي الذى ينتمي إلى طبقة اجتماعية متوسطة هو الذى يمهّد غالباً لظهور البطل، يتابعه حيثما حل، وهو في كل هذا يُحسن طريقة تقديم البطل الذى يكون عادة شخصية سآخره فصيحة ذكية بليغة تنتمى إلي طبقة اجتماعية متدنية، و لديه قدرة عجيبة علي التّنكّر فهو يجيد لبس الأقنعة، فتارةً نراه ناسكاً واعظاً وأخري نديم كأس، ومرة ثالثة فقيها وهكذا وهو في كل هذه الأحوال يعتمد علي الفصاحة والذكاء والحيلة والخداع لنيل هدفه ممن يخدعون لمظهره.

واتخذ ناصيف راوية هو سهيل بن عباد وبطله هو ميمون بن خزام، وهو أديب شحّاذ من نوع أبى زيد السروجي وأبى الفتح الإسكندري. وألصق به في كثير من المقامات ابنته «ليلي» وغلامه «رجبا» على نحو ما صُنع الحريري بأبي زيد إذ عرضه في كثير من مقاماته، وهو يتشاجر مع زوجته أو مع تلميذه وتابعه أما الراوي فهو رجل راحل أو مغترب وفي رحلة الاغتراب يصادف البطل أو يلتقي به في حدث من الأحداث.

أما البطل فهو مستول بارع في الفصاحة والأدب مجيد لأساليب الإكداء يجوز حيله على الناس ولكنه لا ينفك من حبائل سهيل بن عباد ذلك الخبير بتصرفاته وألاعيبه المجيد لاكتشافه في أخر الأمر.

ولنسرد الآن الشخصيات في المقامة الهزلية، ونسرد الأحداث التي قاموا بها متتبعين تراتبية المقامة.

1* الراوي:

سهيل بن عباد، وقد قام بأحداث، أولها موت زوجته شريكة حياته الأولى، والحدث الثاني مكوثه عاما كاملا أرملا دون زوجة، والحدث الثالث بحثه عن زوجة في بلده وفشله في إيجاد المناسبة، الحدث الرابع اغترابه للبحث عن زوجة خارج بلده، الحدث الخامس

إيجاده لجارية تنشد شعرا وإعجابه بها، الحدث السادس ظهور زوجها وحديثه مع سهيل، دفع المهر، مبيته مع الجارية وزوجها، هروب الزوج وزوجته وخداعهما لسهيل.

2* ميمون بن خزام:

هو بطل هذه المقامة، فهو من الناحية الفكرية مثقف شاعر داهية ذكي ماكر خداع. ومن الأحداث التي قام بها في المقامة: تقمص شخصية الزوج بالنسبة لابنته ليلى، ثم زعمه أنه راغب في طلاقها إن دفع له سهل مهرين فيها، ومما قام به أن هرب مع ابنته أثناء نوم سهيل، وترك له خطابا مضمونه أن ابنته غير ذكية ولا بهية لا تستأهل الزواج به.

3* ليلى الخزامية:

تبدو فتاة جارية مقبولة الجمال، طويلة اللسان، ماكرة مثل أبيها، تجيد قول الشعر، تظاهرت أنها زوجة متزوجة من شيخ ذميم، وهي لا ترغب فيه، وتتمنى لو تجد شابا مثلها فتطلق الشيخ وتتزوجه، فانطوت على سهيل الحيلة. وقد كانت ليلى نعم الشريط لأبيها في المكر والحيلة والحصول على المال بذكاء وهزل.

4* الزوجة الأولى:

لها دور الافتتاح وبداية المقامة، وقد حلاها سهيل بأوصاف جميلة مادية ومعنوية، مما يوحي بوفائه لها حيث قال: " كان لي زوجة صناع اليدين، كريمة النبعتين. فحسدتني عليها المنون، وخانني فيها الدهر الخؤون". والحدث الذي جرى على الزوجة الأولى هو الموت والفقد، ويمن ان نعتبر أوصافها أحداثا كانت تقوم بها في حياتها.

5* الناقة:

قد يتعجب القارئ من اعتبار الناقة من بين الشخصيات، فنقول لا تعجب، فإن لها دورا حرك الأحداث، فهي وسيلة الرحلة، وهي التي حمد الله سهيل حين وجد ميمونا الخزامي لم يسرقها.

المبحث الثاني: الزمان والمكان

الزمان:

لقد أجمع جل النقاد على استحالة وضع تعريف تام ودقيق للزمن فتحديده ليس بالأمر الهين إذا تعددت حوله الرؤوى وتباينت المواقف يقول وليام تسكير "نحن نلعب دور المهرج مع الزمن وأرواح العقلاء تجلس فوق السحاب تسخر منا"[1]

"أي أن الزمن لا يمكن أن نضع له تعريفا دقيقا ويمثل الزمن عنصرا أساسيا من العناصر التي تقوم عليها الرواية ويلعب دورا هاما فيها ينسبه ذلك الذي يلعبه اللون في الوحة الزيتية فهو يعطي الحدث صيغة خاصة للجنن الذي وقع فيه"[2]

وإذا كان النقاد يقسمون الزمن إلى داخلي وخارجي فهذا هو الحل بالنسبة للزمن في مقامتنا. زمن داخلي: وهو زمن الحكاية وينحصر من بدايتها إلى نهايتها. زمن خارجي: تدخل المقامة في علاقات زمنية مختلفة وتنعلق عموما بزمن الكتابة وزمن القراءة وموقع الكاتب من الفترة الزمني التي كتب فيها الرواية وموقع المقامة أيعنا من المقامة التي بين يديه والزمن متعلق بالمقامة وللزمان الاستباق والاسترجاع.

الاسترجاع:

يعد الاسترجاع في قاموس السرديات "مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر"[3]. إن الاسترجاع نوعان هما الاسترجاع الخارجي والاسترجاع الداخلي.

أ/ الاسترجاع الخارجي:

---

[1]– أحمد محمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار فاس للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م، ط، ص16.

[2]– ينظر: محمد، طول البنية السردية في القص القرآني ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1991م، ص104.

[3]– جيرالد برنس، قاموس السرديات، ص59.

عرف جنيت هذا النوع من الاسترجاع بأنه "الاسترجاع الذي تطل سعته كلها خارجة سعة الحكاية الأولى كان وطبعتها الوحيدة هي إكمال الحكاية الأولى عن طريق تتوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك"[1]، يعني أن الروائي يعود إلى البدايات الأولى لما قبل القص.

استخراج الاسترجاع من المقامة:

حكى سهيل بن عباد قال كان لي زوجة صناع اليدين، كريمة النعتين فحدثني عليها النون وخانني في الدهر الخؤون، فلئت بعدها طويلا أردد زفرة وعويلا. قال وإذا بالشيخ استوى وقال ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ثم أنشد يقول[2]:

قد علم الله الذي له البقا ... لو ترك الدهر لكفي رمقا

لم تبق إلا ربت أن تطلقا ... ولم تجد عند فؤاد سبقا

قال فاستفزني أبيات الشيح فرحا حتى كدت أصفق مرحا، ولم أتمالك أن دلفت إليه دفلى من تيمن وقلت حيا الله الشيخ فمن أنت وممن؟ قال أنا المبارك بن ريحاف، من بطون قحطان وإني لأرى الفتاة قد سغنتك حبا.

الاسترجاع الداخلي:

في هذا النوع من الاسترجاعات يكون الحقل الزمني للاسترجاعات الداخلية متضمنا في الحقل الزمني للحكاية السابقة بحيث تكون سعته داخل سعت الحكاية الأولى[3]. ومثاله قوله: فإن قد ظمت إلى الضحل ونسيت أن لابد دون الشهد من إبر النحل، فهب المال عندي كإحدى القرض ربئا أرزا من أشنض للك منه العوض.

---

[1]– المرجع السابق، ص61.

[2]– مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، ص80، 82، 83.

[3]– ينظر، جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص61.

فمن أحرز المال فعلية الإنفاق يعلق قلت أنا والمال في يديك وكلانا لك وإليك. فاستعذت بالله من مكره ونكره وترت إلى الناقة لا ترحل في إثره فلما دنوت من قتبها إذا رقعة قد كتب بها[1].

قل لسهيل إن يهب في السحر ... إغدر فخير الناس عندي من عدر
خلقت مطبوى على كيد البشر ... وليس للإنسان تغيير الفطر

فلما قرأت تلك الرقعة، عجبت من تلك الرقاعة وعلمت أنه لا يحول من هذه العنعة.

الاستباق:

يعد الاستباق من لحيل الفنية وتقنية من التقنيات السردية التي يلجأ إليها المبدع قصد كسر الترتيب الخطي الزمني وخلق حالة انتحار لدى المتلقي، فهو بمثابة التمهيد أو التوطئة لا حقاق لا حقة كدفع القارئ للتكهن، بمستقبل ما سيجري للشخصيات رغم قلة الاستباقات مقارنة بالاسترجاعات إلى أنها لا تقل أهمية من الناحية الجمالية والإبداعية فهي تبعث في نفس القارئ التشويق لمعرفة ما هو قادم وبث روح الفضول.

والاستباق تقنية زمنية أشار إليها جيرار جنيت "الاستباق على كل حركة سردية تقوم على أن يروي حدث لاحق أو يذكر مقدما"[2]. ومثاله: "أخبر سهيل بن عبد كما في المقامة الأنموذج وقلنا سابقا أن هذه الصيغة ثابتة في جمل الاستعلال ويأتي الكلام على لسان الراوي المجهول.

"قال فاستفزني أبيا الشيخ فرحا، حتى كدت أصفق مرحا ولم أتمالك أن دلفت إليه دلفة من تيمن وقلت حيا الله الشيخ فمن أنت وممن؟ قال أن المبارك بن ريحان"[3].

---

[1]– مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، ص85، 86.

[2]– جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص81.

[3]– مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت، ص83،84.

قال فقلت له شهد الله أنك لا مكر أهل الخافقين وأقدرهم على الزين والشين، قال يا بني إن الحلة تدعو إلى السلة والعدق خمر مزاجها الكذب والجد ثوب طرازه للعب، ورب طرفة.

المكان:

"أثبت المكان منذ القديم دوره الكبير في تكوين حياة البشر وتثبيت هويتهم وتحديد تصرفاتهم فهو يجسد الإطار العام الذي يتحرك فيه الشخصيات وتتعامل معه وأي نص أدبي مهما كان جنسه لابد أن يتوفر على هذا العنصر، فالمكان في حركة أخذ وعطاء إلى جانب الشخصيات المقامة وأحداثها إذ أنه يتوجه بتوجهها ويرتبط بحركتها ويدفع أحداثها إلى الأمام دائما"[1]

ومنه فإن المكان مهم جدا في بناء المقامة والحديث عن الزمن يقودنا بطبيعة الحال إلى المكان فلا يمكن الفصل بين الزمان والمكان فهما يشكلان ثنائية الزمان والمكان، كما يعتبر الإطار الذي تجري فيه أحداث النص.

فهو بهذا يعتبر العمود الفكري الذي يربط أجزاء المقامة والجدير بالذكر إن القارئ للمقامة "الهزلية للشيخ ناصيف اليازجي"، يلتمس توظيف الكتاتب للأمكان المفتوحة وكذا المغلقة، وبما أن المقامة في عملها سردت لنا أحداث واقعية حقيقية فكانت الأماكن كذلك ومن خلال هذا العنصر سنحاول رسم البنية المكانية في المقامة "الهزلية" عن طريق حصر الأمكنة التي جرت فيها الأحداث وكيف عبر عنها.

أ/ الأماكن المفتوحة:

يمنع المكان المفتوح الإنسان القدرة على الحركة والانتقال عكس المكان المغلق، وبالنظر في الأمكنة المفتوحة في "المقامة الهزلية" نجدها مطلقة وهي:

---

[1]– سليمان حسن، لمضمرات النص والخطاب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999م، ص303.

الطريق: هو ذلك الفضاء المفتوح والذي يحمل في دلالته الحرية، فهو مفتوح من منفذيه، تأتي إليه وتغادر منه، حيث وضف "ناصيف اليازجي"، الطريق في قوله: "لا جزم أنه قد خازمني التوفيق..، من معاجيل الطريق..."

الحي: هو أيضا فضاء مفتوح يحمل عدة دلالات وظف في مكانه حيث قال: "ولما لم أجد في الحي.. من تروق بعيني"

عكاش: وهو جيل يقابل أرض ببلادِيني سعد يقال لها طمية فالجبل مكان يسكنه الثوار والمجاهدون يكملون حياتهم فيه ليحرروا أوطانهم ولقد وظف هذه الدلالة مرة واحدة فقط في مقامته عندما قال: "ما أرى بعل هذه الصية... إلا كعكاش بعل طمية"

هجر: وهو بلد في اليمن يوصف بكثرة النخل وظفه اليازجي في مقامته قائلا: "وقد علم من عنده علم الغبث أن هذه الطرفة عندي خير نخل هجر وعرائض الحصيب"

الحصيب: ويقصد بها موضوع في اليمن "نفس البيت السابق"

صمير: مكان غروب الشمس ويحمل دلالة عاطفية تبين أنه يخاطب امرأة، وذلك في قوله: "وزال كذلك أطبغت الجونة على الصمير"

المبحث الثالث: العقدة والحل

العقدة الأولى وحلها:

حين نتأمل المقامة نجد فيها عقد كثيرة قد حلت بأشكال مختلفة، فالعقدة الأولى في موت الزوجة الأولى وفقدها، ومكثه عاما كاملا دون زوجة، أما حل هذه العقدة فكان في عزمه على البحث عن زوجة بديلة ثانية، والنتيجة فشله في إيجاد زوجة في بلده وخارج بلده، بل سرق ماله ووقع ضحية حيلة ومكر من طرف ميمون الخزامي وابنته ليلى، وهكذا انتهت عقدة سهيل إلى نهاية حزينة مضحكة، فلا هو بماله ولا بزوجته التي أمهرها.

العقدة الثانية وحلها:

تتعلق هذه العقدة بميمون الخزامي، وهي حاجته للمال، وضرورة الحصول عليه، وقد رأى أنّ الحل في المكر والحيلة على الغرباء، ولتكن الحيلة مما يحب المخدوع ويتمنى، فلما كان سهيل يرغب في الزواج، دبّر له ميمون حيلة الشيخ الذي تعافه زوجته الشابة وتود الزواج بشاب، والنتيجة أن وقع في الفخ سهيل، وحصل ميمون على على المال وانفكت أزمته، وانحلت حلا سعيدا موفقا بالنسبة له.

السرد عند اليازجي في "مجمع البحري":

ألف اليازجي ستين مقامة ضمنها كتابه "مجمع البحرين" وهو اسم اقتبسه من الآية القرآنية الكريمة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1]، وذهب الدارسون إلى أن المقصود بالبحرين "الشعر" و "النثر" فمقامته عبارة عن مزيج يتناغم فيه الشعر والنثر، جرى فيها على منوال "الحريري" وكانت معارضة لمقامات هذا الأخير حيث يقول في مقدمة كتابه: "إنني قد تطفلت على مقام أهل الأدب، من أئمة العرب بتلفيق أحاديث تقتصر من شبه مقاماتهم على اللقب"[2]

---

[1]– سورة الكهف، الآية 60.

[2]– أنظر: المقامة، شوقي ضيف، ص80.

ولئن عد أدب المقامة في عصر النهضة إحياء للتراث وتقليدا للنصوص القديمة، فإنه يمثل في الوقت نفسه "صورة مبرمجة للمستقبل تبعا لنموذج الماضي"[1]، مما يضع هذا الجنس خانة التأويل باعتباره نظاما دلاليا يعبر عن خصوصية فترة زمنية محددة من شأنها أن تستهوي القارئ وتفتح أمامنا آفاق التأويل، باعتبار أن "الإحياء في جوهره عملية تأويلية تتطلب القارئ المؤول بالدرجة التي تتطلب حضور النص المؤول"[2] من هذا يمكن إدراج المقامة ضمن تلك النصوص باعتبار ما تحمله من رموز تستوقفنا عندها وتستشير فضولنا واهتمامنا وتستوجب حضور وعبنا وإدراكنا لخباياها من حيث هي نتائج للحياة الفكرية.

---

[1]– مجمع البحرين،الحجازية، صلى الله عليه وسلم 09.

[2]– السرد والأنسق الثقافية، عبد الفتاح كيليطو، المقامات، عبد الكريم الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط9، 1993م، ص61.

الخاتمة

خاتمة:

بعد إبحار طويل في هذه المقامة الممتعة التي قضينا معها أياما وليل، ها نحن نصل إلى نقطة النهاية وقبل ذلك سطرنا لكم هذه الخاتمة من هذا البحث:

لغة المقامة من أهم الأسباب التي تزيد شهية القارئ ليواصل قراءة المقامة.

الاعتماد الواضع على تقنية الاسترجاع التي صغت على أحداث المقامة ربما يحن للماضي ولا يريد مفارقته وأيضا عنصر الاستباق الذي كان بارزا في المقامة.

استخدم الكاتب تقنية المشهد فصور لنا عدة مشاهد وكان الحوار من بين الأكثر مسيطر عليها.

وفي الأخير يتجلى لنا بوضوح براعة الكاتب في استخدام مختلف أساليب السرد وتوظيفه للزمن بمختلف أنواعه، كما اهتم اليازجي في مقاماته بمراعاة التوافق بين المفردات والجمل الذي أدى به إلى استحسان تقديم بعض المفردات عن غيرها وذلك رغبة في إثراء التركيب اللغوي وتحميله شحنات إبداعية.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم

- ✓ أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في البيان وإنشاء لغة العرب، ج1، دار الكتب العلمية، ط35، 1996م.
- ✓ أحمد محمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار فاس للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م، ط.
- ✓ إنعام الجندي، الرائد في الأدب العربي، ج1، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م.
- ✓ جلال الدين السيوطي، المقامات، شرح وتحقيق سمير الدروبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دط، 2007م.
- ✓ جيرار جنيت، خطاب الحكاية.
- ✓ جيرالد برنس، قاموس السرديات.
- ✓ حنا فاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه أدب النهضة الحديثة، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- ✓ الزركلي، الأعلام، ج3.
- ✓ زكى مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2، دت.
- ✓ سعيد يقطين، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية قال الراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997م.
- ✓ سليمان حسن، لمضمرات النص والخطاب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999م..
- ✓ شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي.
- ✓ عباس هاني الجراح، المقامات العربية، الرضوان للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط1، 2014م.
- ✓ عبد العزيز عتيق، فن النقد الأدبي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1972م.
- ✓ عبد الفتاح كيليطو، المقامات،

- ✓ عبد الكريم الشرقاوي، السرد والأنساق الثقافية، دار تويفال، الدار البيضاء، ط9، 1993م.
- ✓ عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1980م.
- ✓ عثمان الشيخ عبد المؤمن، البديعيات في مقامات عائض القرني السعودي دراسة تحليلية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة بيروت، السنة الجامعية 2012/2011م.
- ✓ عز الدين المناصرة، الأجناس الأدبية.
- ✓ عيسى ميخائيل سابا، الشيخ ناصيف اليازجي، دار المعارف، بيروت، 1800-1870.
- ✓ في المعنى غريماس، نقلا على جوزيف كورتيس.
- ✓ مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي، دار صادر، بيروت.
- ✓ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تح: خالد رشيد القاضي مادة قوم، دار الصبح للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ج11، 2006م.
- ✓ محمد يونس عبد العال، في النثر العربي، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1994.
- ✓ محمد، طول البنية السردية في القص القرآني ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1991م.
- ✓ محمود عبد الرحيم صالح، فنون النثر في الأدب العباسي.
- ✓ جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، ترجمة جمال الحضري، الدار البيضاء للعلم ناشرون، منشورات2007.
- ✓ يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، مكتبة الطالب الجامعي، ط2، 1986.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة:.....أ
الفصل الأول: مفاهيم أولية..... 6
المبحث الأول: المقامة..... 6
مفهوم المقامة لغة: 6
نشأة المقامة وتطورها:..... 7
أركان المقامة:..... 9
خصائص المقامة:..... ١٠
أهم أعلام المقامة:..... ١٠
المبحث الثاني: ترجمة المؤلف..... ١٤
مولده ونشأته: ١٤
تعلمه: ١٤
مؤلفاته: ١٥
وفاته: ١٩
المبحث الثالث: المدونة (المقامة الرابعة عشرة وتعرف بالهزلية) ٢٠
الفصل الثاني: المقاربة السردية..... ٢٥
المبحث الأول: الشخصيات والأحداث ٢٥
المبحث الأول: الشخصيات والأحداث ٢٦
١ * الراوي: ٢٦
٢* ميمون بن خزام:..... ٢٧
٣* ليلى الخزامية:..... ٢٧
٤* الزوجة الأولى:..... ٢٧
٥* الناقة:..... ٢٧
المبحث الثاني: الزمان والمكان ٢٨
الزمان:..... ٢٨
الاستباق:..... ٣٠
المكان:..... ٣١
أ/ الأماكن المفتوحة..... ٣١
المبحث الثالث: العقدة والحل..... ٣٣
العقدة الأولى وحلها:..... ٣٣
العقدة الثانية وحلها: ٣٣
السرد عند اليازجي في "مجمع البحري": ٣٣
خاتمة: ٣٦
فهرس المصادر والمراجع..... ٣٧
فهرس المحتويات..... ٤١